فيهِ تلك الوحشية على حين غِرّة فان لم تكن سبباً في هلاك رائضهِ فلا اقلّ من ان يكون منها تحت خطرٍ مستمرّ . انتهى

قِيَم الرجال

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل جرجس افندي همّام

هي القِيَم بها تعتزّ النفوس وتتفاضل الاقدار وهي الاحساب المؤثلة تحوك للمرء مطارف حسن الثنآء مطرزةً بخالص الاعتبار والكرامات الادبية يصونها ذووها عن معرّة الامتهان ويتجافون بها عن مطارح الغضاضة والهوان

والقيمة في الاصل هي ثمن الشيء بالتقويم وانما سُمِّي قيمةً لانهُ يقوم مقام الشيء . وهذا لا ينطبق على مرادنا اذ لا يصح على ظاهرهِ في الانسان الا في القبائل المنحطة ايام كانت النخاسة مباحةً لمن شآءها فتباع اشخاصها كما تباع البهائم والسلع . وانما نريد بالقيمة هنا ما يحسنهُ المرءُ من الاعمال التي تؤول الى مصلحة المجتمع الانساني وتحسين شؤونهِ الكمالية كما عرّفها الشاعر بقولهِ

قيمة الانسان ما يحسنهُ　　اكثر الانسان منهُ ام أَقَلْ

وهي غير المرتبة كما لا يخفى فان المخلوقات المحسوسة على مراتب او طبقات والانسان اسماها مرتبةً لاختصاصهِ بهذه النفس الناطقة دونها . والناس ايضاً على مراتب متفاوتة يتفاضلون على نسبة منزلة هذه النفس العاقلة من سُلَّم العلم والفضيلة . ولكل امةٍ منهم في المرتبة الواحدة قيمةٌ

تقدَّر بمبلغ ما تحسنهُ من الاعمال المذكورة . وكذلك الافراد في الامة الواحدة فان اهل كل مرتبة منهم يتفاضلون بحسب تلك الاعمال

والناس وان كانوا مشتركين في الفصول المقوّمة للنوع فلا تستوي مراتبهم في المدارك فهم يتفاضلون في قوة النطق والتمييز ويفترقون في الذكآء وقبول التهذيب ويسمو بعضهم على بعض في الفضائل ومحاسن الاخلاق فأدنى مراتب الانسان متصل باعلى انواع الحيوان كالهنود في العالم الجديد والزنوج ومن يجاورهم من الامم في اواسط افريقيا الذين لا يرتفعون عن طبقة القِرَدة الاّ قليلاً . وتتزايد في بعض الامم قوة التمييز والادراك حتى يبلغوا من لطافة الحس وصفآء الذهن مبلغاً يقرّبهم من طبقة الملائكة فيمعنون في طلب العلوم ويبحثون عن مكنونات اسرار الطبيعة ويغالبون قواها حتى يذللوها بقوة الاستنباط والابداع ويسوقوها بين ايديهم صاغرةً ويصنعوا بها عجائب باهرات قد يعدها الجاهل ضرباً من السحر. وهؤلآء هم الامم الحاضرة في اوربا ومن يتصل بهم من سكان مهاجرهم الذين ارتقوا بالسعي الصادق والاجتهاد المتواصل الى اسمى مراتب الانسان

ولا يخفى ان الانسان انما يقوم جوهرهُ بهذه النفس الناطقة وهي حالّةٌ بالبدن فهو هيكلها المقدس ومنزلها البديع فلا بدَّ لها من توجيه العناية الى حفظهِ سالماً . وهذا البدن خُلق منتقضاً منحلاً فلا بد لهُ من استمداد الغذآء مكان ما يتحلل منهُ ودفعاً لما يلحقهُ من أذى الجوع فيتعين على النفس القيام عليهِ بتدبير حاجاتهِ التي تكفل اعتدال مزاجهِ . ولذلك كان اشرف الناس مرتبةً واجلهم شأناً من انصرف في عملهِ الى اشرف ما في الانسان

اي الى النفس العاقلة فجعل همهُ ترويضها في الفضائل وتسديدها في سبل الصلاح وتنويرها في امور معادها وغبطتها الخالدة . وهؤلآء هم خدام الدين القائمون بامر الارشاد وحث الناس على التقوى والخير والمسالمة والوئام حتى يكونوا سعدآء في الدنيا سعدآء في الآخرة . ويلحق بهم في طبقتهم الحكمآء وجهابذة العلمآء المشتغلون بفنون الحكمة وضروب العلم الدائبون في البحث والاستدلال والتدوين والتلقين بحيث يكونون مصابيح للبصائر يخرجونها من ظلمات الجهالة الى نور العرفان ويكونون سبباً في توسيع نطاق الحضارة والعمران . ويجيء بعد أولئك طبقة الاطبآء لان صناعتهم تتعلق بالبدن وهو هيكل النفس المقدس الذي تحرص على سلامتهِ وصيانتهِ من عوادي الاسقام الناقضة لكيانهِ فاذا طرأت عليهِ آفةٌ فزعت بشكواها الى الاطبآء العارفين باسباب الادوآء واعراضها وبالذرائع الواقية والعلاجات الشافية فكان الطب لذلك اجلَّ الصنائع نفعاً واحقها بالاعتبار وشرف المنزلة

ثم لما كان الانسان الواحد لا يستقل بتحصيل حاجاتهِ المعاشية لما يقتضيهِ اعدادها من الصنائع المتباينة والاعمال العديدة التي لا تقوم الاّ بالكثيرين كان بحكم الضرورة منقاداً الى الاجتماع والتعاون فاحتشد الناس في القرى والمدائن يضافر بعضهم بعضاً وبسطوا ايديهم الى اقتنآء الرزق وتأثل العقار وتسابقوا الى اجتلاب المنافع واجتذاب المرافق فاحتاجوا في اجتماعهم هذا الى حاكم يفصل بينهم في خصوماتهم ويَزَع قويّهم عن ضعيفهم . ولذلك وقعت الحاجة الى الخطط السلطانية واستعمال العمّال وانشآء دواوين القضآء لفصل النزاع وحمل الناس على النَصَفة والوقوف عند حدود العدل

والمرءُ يستأثر بما يحرزهُ من المكاسب والاموال ويفرغ الطوق في الذود عنهُ لانهُ الذخيرة للبدن التي يستمد منها اسباب المعيشة . فهو يدافع من نازعهُ فيهِ واذا استضعف نفسهُ في كف عادية الغريم رافعَهُ الى الحاكم يبتغي الانصاف واذا خشي ضياع حقهِ استنصر بالفقهآء والعارفين بالقوانين والاحكام الشرعية يقيم واحداً منهم مقامهُ ويفوض اليهِ امرهُ في المدافعة والمرافعة . ولذلك جآءت منزلة رجال القضآء وسائر مَن يُرجع اليهم في هذه الحال رفيعةً عند جمهور الامة بسبب الحاجة اليهم في بسط العدل والمحافظة على الحقوق

وكأني بأهل الغرب قد تنبَّهوا منذ عهدٍ بعيد الى نبالة النفس وخطر ما يتلبس بها في هذا الوجود فالتمسوا لها اسباب السعادة من وجوهها . ولذلك ترى بلادهم حافلة بمعاهد العلم الصحيح يُرضِعون فتيانهم وفتياتهم من لبانهِ ويغذون نفوسهم بما يوافق استعدادهم ويحملونهم على التوسع في المعقولات والتخرج في الرياضيات والطبيعيات وعلى الارتياض بالفضائل ومحاسن الآداب . وقد شرطوا لمدارسهم الجامعة ان تشتمل كلٌّ منها على اربعة اقسام احدها للاّهوت والثاني للفنون العالية والثالث للعلوم الطبية والرابع لشريعة البلاد . وكل منها عبارة عن مضمار تراض فيهِ نفس الطالب في المرتبة التي يرومها فينظر ما يختارهُ منها ويتلقى فيهِ الدروس منتسقة احسن انتساق واذا شآء التوسع فأمامهُ المكاتب الجامعة لاشتات التصانيف مما يتعلق بخطتهِ . وهذه الاقسام الاربعة اي اللاهوت والفنون العالية والطب والشريعة تعرف عندهم بالمهن القانونية

واما سائر مراتب اهل المجتمع كالصُنّاع والزُرّاع والتجّار من اصحاب

جزئيات الاعمال فان اعمالهم اضافيةٌ تكميلية فلا قيمة لاربابها في انفسهم وان كان المجتمع لا يقوم بدونهم . وانما يكون لاحدهم قيمةٌ اذا اقترن عملهُ بشيءٍ من الاربع المذكورة كما اذا كان صاحب الثروة منهم مثلاً ينفق من ثروتهِ على المستشفيات أو المدارس أو اغاثة الفقرآء والعاجزين أو يرفد ارباب التصانيف العلمية ويمدّ اصحاب الاختراعات والاكتشافات لابراز نتائج افكارهم وثمرات اجتهادهم مما يكون فيهِ اسعاد الحالة الاجتماعية أو توسيع نطاق المدارك البشرية . وانظر اين الغنيّ الذي يبذل اموالهُ في مثل هذه المنافع الشريفة ممن ينفقها في الملذات والشهوات والتأنق في الزينة والفخر الباطل أو يحوّل قوة غناهُ الى احتكار اصناف البضائع والمحاصيل واقتطاعها عن اصاغر المتكسبين لينتفع بضرر غيرهِ . هذا اذا لم يتخذ المال عوناً على ارتكاب المنكرات والكبائر كما نراهُ بين كثيرين من اهل زماننا فلا ريب ان من كان كذلك يعدّ من ادنى طبقات المجتمع واقلهم قيمةً بل قيمتهُ تكون قيمةً سلبية ووجودهُ يعدّ نقصاً في الانسانية لان «قيمة الانسان ما يحسنهُ»

وما للمرءِ خيرٌ في حياةٍ اذا ما عُدّ من سقط المتاعِ

الترام المعلَّق

لا يخفى ان اكثر مدن اوربا الحافلة بالسكان ولا سيما المدن التجارية والصناعية منها لا تزال طرقها غاصةً بأقدام المارّة وآلات النقل والركوب من كل نوع حتى ضاقت بالسالكين ولم يبقَ لهم الا ان يمدّوا السكك تحت الارض أو في الجوّ . وقد حاولوا كلا الامرين فعلاً الا ان الاول فيهِ من